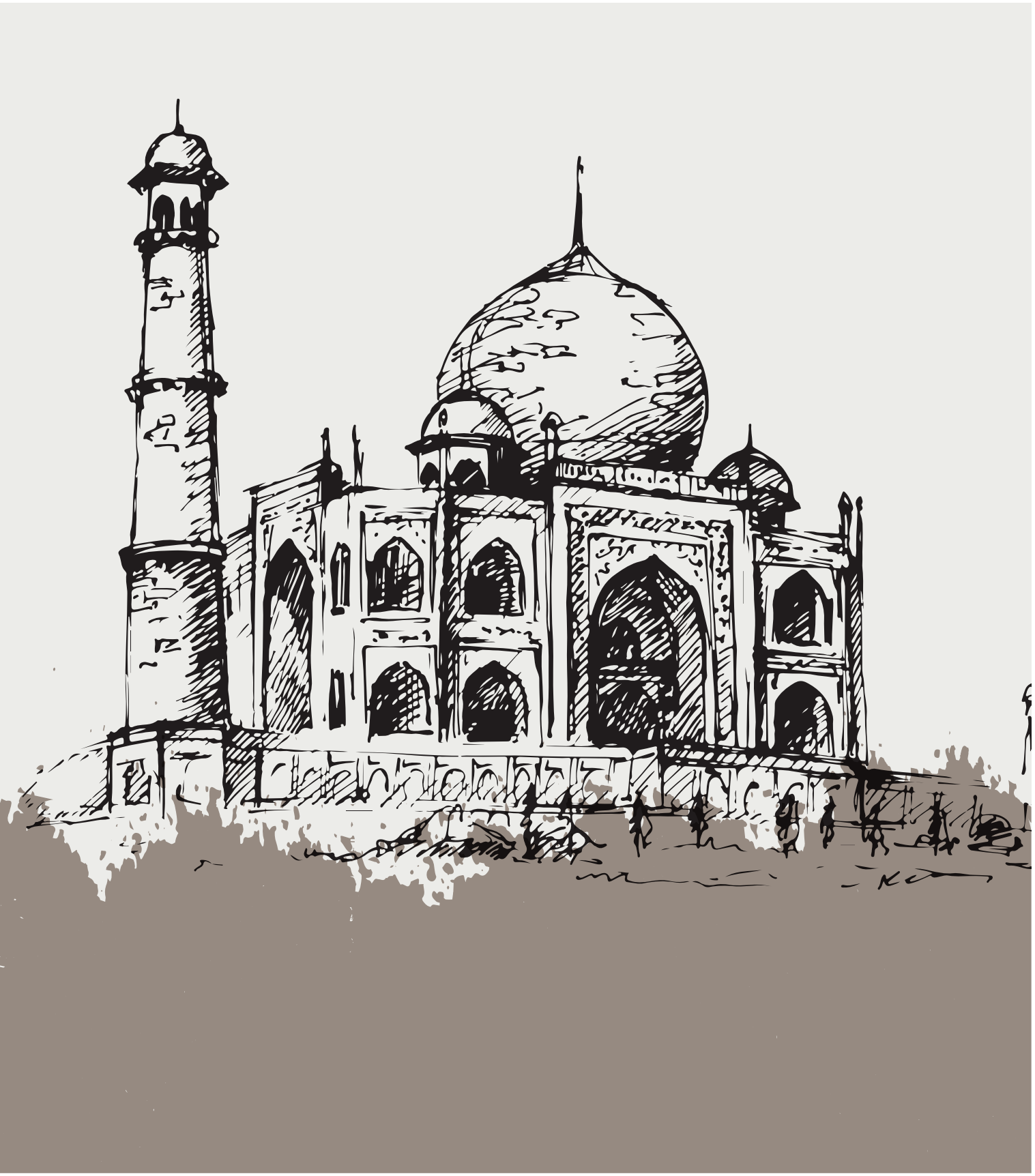

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

١ «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ،

٢ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،

٣ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،

٤ وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ،

٥ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ،

٦ وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ،

٧ وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»[١٦٢].

(١٦٢) رواه مسلم (٢٦٩٩).

آيات

- ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢].
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠].
- ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].
- ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

الراوي

هو: عبدُ الرحمنِ بنُ صَخرٍ الدَّوسيُّ، الأَزْديُّ، اليَمانيُّ، مشهور بكُنيته، وهذا أشهر ما قيل في اسمه واسم أبيه، صاحبُ رسولِ الله ﷺ، أسلَمَ عامَ خَيبَرَ ٧هـ، ولازمَ النبيَّ ﷺ رغبةً في العلم، وكان يذهب معه أينما ذهب، وكان من أحفَظِ أصحابِ رسول الله ﷺ، وأكثرهم رواية للأحاديث؛ «يروي عنه - كما قال البخاريُّ - أكثر من ثمانمائةٍ، ما بين صحابيٍّ وتابعيٍّ، استعمَلَه عمرُ بنُ الخطَّاب ﷺ واليًا على البَحرين، ثم بعد ذلك عاد وسكَن المدينة وانشغل برواية الحديث، وتعليم الناس أمور دينهم، وتُوفِّي في المدينة سنةَ (٥٨هـ)[١].

خلاصة

يخبر النبيُّ ﷺ عن فضل معاونةِ النَّاسِ في أمورِ دنياهم، وأنَّ الله تعالى يعينُ العبدَ بمُعاونته أخيه، ثم ذكَر ﷺ فضلَ طلبِ العلم، وما يَلقاه طالبُ العلم من تَنزُّل السكينة والرحمة وذِكْرِ اللهِ سبحانه له في الملأ الأعلى. ثم بيَّن أن العبرةَ بالأعمال لا الأنساب.

(١) تُراجع ترجمته في: «معرفة الصحابة» لأبي نُعيم (٤/ ١٨٤٦)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (٤/ ١٧٧٠)، «أُسد الغابة» لابن الأثير (٣/ ٣٥٧)، «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلانيّ (٤/ ٢٦٧).

١ يَذكر النبيُّ ﷺ جزاءَ معاونةِ النَّاس في قضاءِ حاجاتهم والتخفيف من أعبائهم، فيَذكر أنَّ مَن **خَفَّفَ وفَرَّجَ** عن مؤمنٍ **شِدَّةً عظيمةً** من الشدائد، فَرَّجَ اللهُ عنه شدَّةً من أهوال يوم القيامة الذي أخبَر سبحانه وتعالى عنه بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾ [الحج: ١، ٢].

٢ ومَن يسَّر على مَدِينٍ عاجزٍ عن السَّداد، بإنظارِه إلى مَيسرةٍ، أو بإبرائِه منه أو من بعضِه، أو بإعطائه ما يَزول به إعسارُه؛ كان جَزاؤه أن يُيَسِّر اللهُ تعالى عليه، فلا يمُرُّ بضائقةٍ ولا تَنزلُ به نائبةٌ في الدُّنيا إلَّا يسَّرَها عليه، وفي الآخرة يسَّرَ اللهُ تعالى حسابَه، فيَرحمه ويَغفِر له، قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، وقال ﷺ: «كان تاجرٌ يُدَايِنُ النّاس، فإذا رأى معسرًا قال لِصبيانه: تجاوَزُوا عنه؛ لعلَّ الله أن يتجاوز عنَّا، فتجاوَز اللهُ عنه»(١٦٣).

٣ ومَن سَتر مسلمًا ستَره اللهُ تعالى في الدُّنيا؛ فلا يَفضحه ولا يَهتِك عَورتَه أمام النَّاس ولا يُطلع أحدًا على سوآته ومَعاصيه، وفي الآخرة يَضَع كَنَفَه عليه [أي سِترَه ورحمتَه] فلا يُسمع أحدًا من الخلائق شيئًا مِن حسابه، قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي المُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]»(١٦٤).

وسَترُ المسلم لأخيه المسلم نوعان: سَترُ عورتِه الحِسِّية؛ بحيث يُعطِيه ما يَلبَسُه ويَستُر به بدَنَه، وسَترُ عورتِه المعنوية، وهي المعاصي، فإذا رأى المسلمُ أخاه على مَعصيةٍ وجَب عليه أن يُنكِر عليه ويَنصَحه لله تعالى، ثم بعد ذلك لا يجوزُ له أن يَفضَحه أو يُشَهِّرَ به، بل يَستُره ويَدعو له بالهداية، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [النور: ١٩]. وقال ﷺ: «يا مَعْشَرَ مَن آمَن بلسانِه ولم يَدخُلِ الإيمانُ في قلبِه، لا تَغتابُوا المسلمين، ولا تتَّبِعوا عَوْرَاتِهم؛ فإنه مَن اتَّبَع عَوْراتِهم، تتبَّع اللهُ عورتَه، ومَن تتبَّع اللهُ عَورتَه، يَفْضَحْهُ في بيته»(١٦٥).

---

(١٦٣) رواه البخاريُّ (٢٠٧٨)، ومسلم (١٥٦٢).

(١٦٤) رواه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨).

(١٦٥) رواه أحمد (٢٠٠١٤)، وأبو داود (٤٨٨٠).

وأصحابُ المعاصي نوعانِ: مَستورٌ لا يُعرَفُ بمعصيةٍ ولا يُجاهِرُ بذلك، فهذا الذي يجِبُ السَّتْرُ عليه، ولذلك أعرضَ النبيُّ ﷺ عن إقامة الحدِّ عن الرَّجل الذي قال: «إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ»، فلم يَستفسِرْ عنه، بل قال له: «أَلَيْسَ قَدْ صَلَّيْتَ مَعَنَا؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ ذَنْبَكَ، أَوْ قَالَ: حَدَّكَ»(١٦٦).

والآخرُ: مُجاهِرٌ بالمعصيةِ، لا يُبالي بما ارتكَب منها، فهذا لا يُستَر، بل يجِب رفعُ أمرُه إلى الإمام ليَنكَفَّ شرُّه، ويَرتدِع أمثاله(١٦٧).

٤ ثم أخبَر ﷺ أنَّ اللهَ تعالى يُعِين المسلمَ ما دام المسلمُ يسعى في عَونِ أخيه، قال ﷺ: «ومَن كان في حاجةِ أخيهِ كان الله في حاجتِه»(١٦٨)، وقال أيضًا: « أَحَبُّ الناسِ إلى اللهِ أنفَعُهم للناسِ، وأَحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ سُرورٌ تُدخِلُه على مُسلم، تكشِفُ عنه كُرْبةً، أو تَقضِي عنه دَيْنًا، أو تَطرُدُ عنه جُوعًا، ولأَنْ أمْشِيَ مع أخٍ في حاجةٍ أَحَبُّ إليَّ مِن أن أعتَكِفَ في هذا المسجدِ - يعني مسجدَ المدينةِ - شَهرًا... ومَن مَشى مع أخيهِ في حاجةٍ حتى يَقضِيَها له ثبَّتَ اللهُ قَدَمَيه يومَ تَزولُ الأقدامُ»(١٦٩).

٥ ثم انتقَل ﷺ لبيان فضلِ طالِب العلم، فأخبَر أنَّ العبدَ إذا سَلَك طريقًا يَطلُب فيه علمًا، سهَّل اللهُ سبحانه له بذلك طريقًا إلى الجَنَّة؛ فإنَّ العلمَ يُورِث في قلبِ العبدِ عظَمةَ اللهِ تعالى وقُدرتَه، ويُبَصِّرُه بأحكامِ الشرعِ مِن الحلال والحرام، فيَعمَل بذلك راجيًا مَغفرةَ اللهِ تعالى ورِضوانه.

وقد أتى ﷺ بلفظِ الطريقِ نَكِرةً ليَشمَل جميعَ الطُّرُق الحِسِّية بالانتقالِ من المنزِلِ إلى المسجدِ أو المدرسةِ أو الجامعةِ أو المركَزِ أو نحو ذلك، كما يَشملُ الرحلةَ في طلبِ العلم للأخذِ عن العلماءِ، كما يَشمَل الطُّرُقَ المعنوية الحاصلةَ بالأخذِ من بُطون الكتب، ومُطالَعة مواقعِ العلماء وصَفحاتهم، ومُدارَسة العلم ومُذاكَرته من مَصادِره المختلفة، فكلُّ تلك السُّبُلِ من سلوكِ طريقِ العلم(١٧٠).

كما أتى كذلك بلفظ العلمِ نَكِرةً ليَشمَل فروعَ العلمِ كافَّة، دون أن يكونَ ذلك مقصورًا على طلبِ العلمِ الشرعيِّ،

---

(١٦٦) رواه البخاري (٦٨٢٣)، ومسلم (٢٧٦٤).

(١٦٧) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (٢/ ٢٩١ - ٢٩٣).

(١٦٨) رواه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

(١٦٩) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٦٠٢٦).

(١٧٠) انظر: «شرح رياض الصالحين» ابن عثيمين (٥/ ٤٣٣- ٤٣٤).

وإنْ كان أرفعَها مقامًا وأعلاها أجْرًا، وليَندرِج فيه القليلُ والكثيرُ منه، فمَن سلَك طريقًا يَلتمِس فيه حكمَ مسألةٍ واحدةٍ كان له الأجرُ المذكورُ[١٧١].

٦ ثم أخبَر ﷺ عن فضل الاجتماع في المساجدِ لتِلاوة القرآن ومُذاكَرته؛ فإنَّ الطُّمأنينةَ تَتنزَّل على الجالسِين، وتَشملهم الرَّحمةُ، وتُحيط الملائكةُ بهم من كلِّ مكانٍ حفظًا لمجلسِهم من الشياطين، ويَذكُرهم الرحمنُ في الملأِ الأعلى مع الملائكةِ، قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٦- ٣٨].

٧ ثم بيَّن ﷺ أن العِبرةَ بالأعمال، فلا عِبرةَ بالأنسابِ يومَ القيامةِ، فمَن قَصُرَ به عملُه عن النجاةِ من النَّار ودخولِ الجنة، لم يَنفَعْه نسبُه وإنْ كان ابنَ نبيٍّ من الأنبياءِ، وإلا لأغنى ذلك أبا الخليلِ إبراهيمَ ﷺ، وابنَ شيخِ المرسَلين نوحٍ ﷺ وامرأتَه، وامرأةَ لُوطٍ ﷺ، وأبوَي النبيِّ ﷺ وعمَّه أبا طالب، وغيرهم؛ قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١ - ١٠٤].

(١٧١) انظر: «فتح الباري» ابن حجر (١/ ١٦٠)

اتَّباعي

١ (١) الجزاءُ من جِنس العمل، فمَن نفَّس كُربةً عن أخيه نفَّس اللهُ عنه، ومَن رَحِم الخَلْقَ رَحِمه الله، ومَن شدَّد على النَّاس شدَّد اللهُ عليه، ومن سَتَرَ سُتِر. فاخترْ لنفسك.

٢ (١) ما أكثرَ الكُرُباتِ يومَ القيامة! الصراطُ والحسابُ وتطايرُ الصُّحُفِ والورودُ على النَّارِ وغير ذلك، فما أحوَجَنا إلى تفريجِ الكُرَب عن النَّاس؛ لعلَّ اللهَ أن يُنَفِّس عنَّا تلك الشَّدائد العِظام!

٣ (٢) التيسير على المَدينِين من أفضلِ أنواع القُرَب التي تُنجي يومَ القيامة؛ قال ﷺ: «مَن سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللَّهُ مِن كُرَبِ يومِ القِيَامَةِ، فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ، أَوْ يَضَعْ عَنْهُ»[١٧٢].

٤ (٢) قضاءُ الدَّين عن المُعسرين وإبراؤهم منه سببٌ في مَغفرة الذنوب؛ قال ﷺ: «حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَكَانَ مُوسِرًا، فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ، قَالَ: قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ»[١٧٣].

٥ (٣) احفَظْ لسانَك وعينَك عن عيوب النَّاس وعَوراتهم، يَحفظ اللهُ تعالى عَوراتك، فلا يَنتهِكها أحدٌ.

٦ (٣) قال بعض السَّلَف: أدركتُ قومًا لم يكُن لهم عُيوب، فذكَروا عيوب النَّاس، فذكَر النَّاس لهم عيوبًا، وأدركتُ أقوامًا كانت لهم عيوبٌ، فكفُّوا عن عيوبِ النَّاس، فنُسِيت عيوبُهم.

٧ (٣) يجِب السَّترُ على المسلمين الذين لا يُعرَف عنهم المعصية، وذلك بعد نُصحِهم والإنكار عليهم بالمعروف. قال بعضُ الوزراء الصَّالحين لبعضِ مَن يَأمُر بالمعروف: اجتهِدْ أن تَستُر العصاةَ؛ فإن ظهور معاصِيهم عَيْبٌ في أهل الإسلام، وأَوْلى الأمور سَترُ العُيوب[١٧٤].

٨ (٣) إذا تمادى مسلمٌ في المعاصي حتى صار لا يُبالي بذلك، لم يَجُز التستُّر عليه، بل وجَب رفعُ أمرِه إلى الإمام لإقامة الحدِّ عليه، فيُخلِّص النَّاسَ من شرِّه ويَرتدِع أمثاله.

---

(١٧٢) رواه مسلم (١٥٦٣).

(١٧٣) رواه مسلم (١٥٦١).

(١٧٤) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (٢/ ٢٩١ - ٢٩٣).